

خطاب صاحب الجلالة

جوابا عن كلمة رئيس الجمهورية الفرنسية

خلال مأدبة العشاء المقامة لتكريم جلالته

فخامة رئيس الجمهورية

عندما شرفتمونا بزيارتكم في السنة الماضية، كونوا على يقين بأن المغرب لم يستقبل فحسب رئيسا للجمهورية الفرنسية، ولا أول رئيس للجمهورية الفرنسية يزور المغرب المستقل، بل استقبل قبل كل شيء السيد فاليري جيسكار ديستانك، الذي كان يعرفه ويقدره منذ مدة.. ولماذا؟ لأنه تتبعكم في سيركم، ليس فقط خلال الحملة الانتخابية التي أعجب فيها بصفائكم وأدبكم ومجاملاتكم، وبعد ذلك تتبعكم أثناء تسلمكم للسلطة، وقد كنتم فوق موجات النزاعات السياسية، وشاهد مقدرتكم وأحس بشبابكم، وأدرك ارتباطكم المتين بوطنكم وإرادتكم الثابتة للتجديد، فأحس مثلكم كما أحسستم أن أهدافكم تستجيب لمتمنيات فرنسا، أي ادخال التيار الكهربائي والريح المكيف لسرايا قصر لويس الرابع عشر.

هذا إذن هو الرجل الذي استقبله المغرب والرجل الذي تشرف المغرب باستقباله، وفوق ذلك، فإن المغرب استقبل في شخصكم السيد رئيس الجمهورية وأول رئيس للدولة الفرنسية يأتي ليزوره منذ استقلاله، وبرجوعنا الى الوراء، لم نجد أي مشكل يعرقل التاريخ به سيرنا، بل على العكس من ذلك فإن الهوة قد امتلأت و لم يفتح أمامنا سوى طريق ممهدة، طريق مبشرة بالنسبة للأجيال، وإنني لسعيد ومتأثر جدا يا فخامة رئيس الجمهورية بأنكم أبيتم إلا أن تثيروا هذا المساء جزءا من المؤتمر الصحفي الذي عقدته في نادي السفراء سنة 1956، والواقع أن الكلام الذي أتيتم به لم يكن بالضبط وشكليا ما قاله لي أبي، ولكن كان معناه وفلسفته وتوجيهاته هي التي حاولت أن أترجمها الى كلمات وحاولت أن أختارها على مستوى المهمة التي أسندت إلي، وإذن يا فخامة رئيس الجمهورية، فإنني أعتقد أن صانعي استقلالنا سواء كانوا فرنسيين أو مغاربة وبنفس الصفة التي لنا نحن أيضا الذين نوجد حاليا على رأس شؤون فرنسا والمغرب، أعتقد أن في استطاعتنا جميعا أن نكون فخورين وفي استطاعتنا أن نكون معتزين، ذلك أنه في جميع مراحل الأوقات التي اجتزناها كانت لنا مشاكل، وكانت لنا قضايا يجب تسويتها، لكن لم يحاول أحد منا أبدا على الاطلاق أن يمس بكرامة واعتزاز أو سيادة مخاطبيه.

وأعتقد يا فخامة رئيس الجمهورية أنه فوق كل قوة وكل ثروة، فإن التراث الذي يشكله الاعتزاز الوطني هو أضمن قيمة، وفي هذا الميدان فإنه لم يسبق أن طعن في اعتزازكم أو في اعتزازنا لا من هذا الطرف أو من ذلك، يا فخامة رئيس الجمهورية، لقد أبيتم إلا أن تعددوا الميادين التي يتعاون فيها المغرب وفرنسا، وهذا التعاون كان موجودا وما يزال قائما بالفعل، ولكنني أحس يوما بعد يوم وبالأخص منذ محادثاتنا الأخيرة أنه يتضاعف لا فقط من حيث الكمية، بل أيضا من حيث القيمة، ذلك أنه في الميدان السياسي فإن المشكل والمهم ليس هو أن يكون الناس على اتفاق حول جميع التفاصيل، بل أن يكونوا على اتفاق حول الغاية وحول شمولية القضايا، وإذن فإن لنا نفس الاهتمام الذي لفرنسا بالسلام وأنتم كشفتم بنفسكم منذ قليل توازن المغرب في هذا الميدان، والحكمة التي أثبتها المغرب خلال السنوات الأخيرة وبالأخص خلال الشهور الأخيرة التي اجتازها.

لقد أظهرنا بما فيه الكفاية خلال تاريخنا العريق، أننا كنا جنودا شجعانا، وأثبتنا بما فيه الكفاية أيضا أننا لا نكافح إلا من أجل القضايا العادلة حتى ولو كانت تبدو خاسرة، لكننا عرفنا كيف نثبت وسنعرف أيضا



كيف نثبت أن العنف والقوة يعدان بالنسبة لنا آخر ما يلتجأ أليه وأنه ملجأ الضعفاء، أو أولئك الذين أرغموا على الدفاع عن تراثهم.

وإذن فإنه ما دام الرجل يعتقد أنه ما يزال لديه شيء من الذكاء، أي شيئا من مصادر فكره، فإن عليه أن يعكف على صرف هذا المورد وهذا الذكاء في تجنيب شعبه الآلام والعنف، ومن أجل ذلك فإننا سواء بالنسبة لنا وبالنسبة لحكمتنا وسمعتنا أو بالنسبة لأصدقائنا سواءا كانوا قريبين أو بعيدين لن نضع أبدا أصدقاءنا ولا نحن بالذات وبالقدر الذي نستطيعه، لن نضعهم أمام اختيارات صعبة إن لم نقل مستحيلة.

فخامة رئيس الجمهورية

إننا متأكدون أن المغرب يستطيع في ميدان التنمية الاقتصادية أن يواصل الاعتماد على بلدكم كما أثبت لنا ذلك بلدكم حتى الآن، والواقع كما أوضحتم ذلك أننا نعتبر أول زبون من بين أقطار العالم الثالث، وعلى صعيد السوق العالمية والدولية نأتي في الدرجة الحادية عشرة، وبالمقابل فإن فرنسا تأتي على صعيد الاستثمارات وفي ميدان المساعدات من أول الأقطار التي تساند مجهودنا.

لكن هل يعني ذلك أن علاقاتنا هي علاقات أرقام أو معادلات؟ إنني لا أعتقد ذلك، ذلك أنه إذا كانت هذه المساعدة المتبادلة والمشتركة لا تعتمد على المستقبل الذي نريد صنعه، أو على الأقل المستقبل الذي نريد تشييده مشتركا مع كل الأقطار الأخرى المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط، ولو لم نكن متأكدين من رغبتنا في صنع هذا المستقبل جميعا لما كنا قد صنعنا ما صنعناه.

وإنني أتذكر ما قاله لي صديقي السيد لابيرا عمدة فلورانسا عندما أكد أن البحر الأبيض المتوسط هو في الحقيقة بحيرة طبرية، والحقيقة أن البحر الأبيض المتوسط هو بحيرة طبرية، إنه بحيرة السلام، إنني آمل وأرجو من الله أن تضاف الصداقات الى الصداقات، وأن تنضم القلوب الى القلوب بحرارة ود لكي نتمكن من تنمية سعادة بلدينا ولكي يبني المغرب وفرنسا على بحيرة طبرية هذه جسرا يمكن أن تمر منه لا فقط أحلام اليوم بل أيضا واقع أبنائنا.

لقد أردتم يا فخامة رئيس الجمهورية احترام تقاليدنا بعدم رفع نخب من أجل صحتي لكنني أعلم أن المتمنيات موجودة وأنكم عبرتم عنها بصفة شخصية، ولكن ولكي لا أخرق تقاليدكم اسمحوا لي أن أرفع نخباً من أجل صحتكم وصحة السيد فاليري جيسكار ديستانك، ومن أجل عظمة وعبقرية فرنسا .

ألقي بباريس

الثلاثاء 1 ذي الحجة 1396 — 23 نونبر 1976